### الجميل في الفكر الصوفي والاسلامي

**ا.م.د. سهاد جواد الساكني – قسم التربية الاسرية ولامهن الفنية – الدراسات العليا- كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية**

 **واذا ما انتقلنا الى اصحاب النظرة الصوفية رأيناهم ينكرون قدرة العقل في ادراك الجميل ويستبعدون محاولة العقل لوضع منهج معين للجميل ، لان الجمال يتجاوز العقل ليدرك بالجذب والوجد والكشف .([[1]](#footnote-1))**

**ونلاحظ ان تيار الصوفية ذلك مضاد للروح الفلسفية اليونانية القائمه على البحث العقلي ، اما هدف الصوفية فهو توجيه اخلاق الباحث نفسه .([[2]](#footnote-2)) لمحبة الجميل بذاته عن طريق الاتصال المباشر بالحقيقة المطلقة ، فبالمعرفة الصوفية يتم التوحد بالذات الالهيه وتجاوز العالم الحسي المتعدد والمتغير ، وهذا لا يتم الا برغبة الذات لرؤية الجمال الحقيقي وادراكه بالنفس المحبة له .**

**والمتصوفة لم ينكروا قدرة العقل في الارتقاء لرؤية الجميل بذاته ، لكن العقل لا يدرك ما لا يحس فهو يعتمد على الحس في تجريده للمعقولات .([[3]](#footnote-3)) والجميل المطلق لا يدرك بالعقل وحده لان العقل في فهمه بالاشياء يحاول دائماً تحديدها وحصرها ، اما الروح فأن طبيعتها المنتشره تستطيع الامتداد لرؤية الجميل بذاته اذا تجردت من حب الجمال الطبيعي .**

**ومن المنطلق نفسه اقام افلوطين ( 204 – 270 م ) فلسفته الجمالية القائمة على تجربة التامل الصوفي التي هي قوام التجربة الجمالية لتذوق الجمال المطلق ، والاستجابة الجمالية للفن تستمد قيمتها من غاياتها الخيرة في التطلع على جمال العالم الروحاني ، واستجابة الفنان الجمالية للكون والطبيعة باعتبارها اثاراً للتجلي الالهي المقدس التي تشتاق اليه النفس في تطلعها الدائم الى معاينة الجميل المطلق .([[4]](#footnote-4))**

**فالتبرؤ من كل ما يمت الى المحسوسات بصله هو بمثابة حركة يخطوها العقل في ارتقائه صوب رؤية الجميل ، وحده صوفيه يصبح فيها المرئي مع الغيبي شيئاً واحداً .([[5]](#footnote-5))**

**ولن يقدر الناظراذا كان جسمياً ان ينظر الى تلك الصورة نظره كليه باطنها وظاهرها معاً لانه ينظر اليها وهو خارج عنها .. فاذا اردت ان تنظر الى تلك الصورة فارجع الى نفسك وكن كانك نفسٌ بلا جسم ثم انظر الى تلك الصورة كشيء واحد لا اختلاف فيها فانك متى فعلت ذلك رأيت الصورة باسرها رؤية عقلية وامتلأت من حسنها وبهائها .([[6]](#footnote-6))**

**فالرؤية التي تتجاوز العيون تصهرنا بشكل ما مع موضوعنا .. فانتقالات النفس الفردية تمنكه من الارتقاء حتى المبدأ الاول ( الواحد وهو الجميل بذاته ) فالنفس يمكنها ان تجد كل شيء في ذاتها .. فأذا كان الجمال هو موضوع الرغبة فمن الطبيعي ان تتحد الذات مع موضوع الرغبة وهو الواحد ( الجميل ) وبذلك لا يكون الجميل متمايزاً عن ذاتي ، وعندما اتأمل تألقي الخاص لا اكون شيئاً سوى نرسيس المنعكس\* .. فعندما يعجبنا شيء مصنوع حسب نموذج ما فالنموذج هو الذي يعجبنا في الحقيقة ، فالصورة تدعونا للارتقاء نحو النموذج .([[7]](#footnote-7))**

**فالجميل عن افلوطين يشير الى الواحد المطلق الخير الذي تصدر عنه الصورة المشعة ، فالجميل هو الخير وهو مصدر الجميل ومبدأه ، ووسيلة ادراكه الروح اما الحواس فلا تدرك سوى انعكاسات الجميل .. وافلوطين ذو نزعه صوفية في ادراك الجميل كحقيقة علوية لها طبيعة نورانية متحده بذات الاله وهذه الحقيقة تمتد الى الاشياء ، فالجمال الحسي ليس هو جوهراً جميل بل جوهر المدرك بالروح .. لذا فمراتب الجمال تعتمد على قرب الشيء من مصدر الفيض او بعده عن .. وهو بذلك يفرق بين الجمال الفني والجمال الطبيعي .. فالمادة التي يتناولها يد الفنان تبدو جميله بجانب التي لم تمسها يد الفنان ، فالجمال ليس في المادة بل في الناحية التي اضفاها الفنان من نفسه عليها .. فجمال الاشياء يجب ان يكون في نفس الفنان اولاً قبل الاشياء .([[8]](#footnote-8))**

**فنفس الانسان يجب ان تكون جميلة بمشابهتها للشيء المرئي في حين ان النفس تكون قبيحة بجهلها به .([[9]](#footnote-9))**

**على الرغم من تأثر افلوطين بفلسفة الجمال الافلاطونية الا ان افلاوطين تجاوزه بمسألة الالهام الفني الشعري والمحاكاة ذلك ان الفنان في انتاجه الفني لا يلهم الا بالتامل الصوفي ، فالفنان لا يحاكي المحسوسات فقط ولكنه يتخيل الافكار التي تعكسها الاشياء .([[10]](#footnote-10))**

**وافلوطين في تاسوعته الرابعة يقول ان العقل الذي يفيض من الواحد لا يمارس فعله الا بتوسط النفس ، وبذلك يبعث بتأثيره على العالم الدنيوي ، فلما كانت النفس مجاورة له فانها تتشكل تبعاً للصورة التي تتلقاها من ، وتنتقل الصورة الى الاشياء الادنى .([[11]](#footnote-11)) فالجميل بذاته لا يظهر الا بفعل انطلاقة النفس اليه وانبهارها بجماله ، فالنفس تستمد جمالها من العقل والعقل يستمد جماله من الخير ( الله ) اما الاشياء الاخرى فتستمد جمالها من النفس فالنفس الجميله تجعل كل ما تمسه جميلاً .([[12]](#footnote-12))**

**واذا انتقلنا الى الغزالي ( 450 - 505 هـ ) وجدناه يفرق بين نوعين من الجمال ، جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس ، وجمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة .([[13]](#footnote-13))**

**لكن الغزالي يرى ان جمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصورة الظاهرة للابصار ، فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر ، والقلب اشد ادراكاً من العين .([[14]](#footnote-14)) لذا فان الغزالي يتخذ من الحدس الصوفي الذي يستند الى المد الالهي النوراني اساساً لادراك الجميل ، فالقلب هو اشد أدراكاً للجمال ، فمن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهره كان حبه للمعاني الباطنه اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ، فشتان بين من يحب نقشاً مصوراً على الحائط لجمال شكله الخارجي وبين من يحب نبياً بجمال صورته الباطنة .([[15]](#footnote-15))**

**فالغزالي يشكك بقدرة الحواس في ادراك الجميل الحقيقي ويرى ان الاداة الصالحة لديه هي التذوق الباطني ويقول في ذلك " ان الذين لا يعرفون الله حق معرفته يقتصر حبهم على الموجودات الحسية ، فالذي يحب الله ليؤثر لذة حبه على كل لذة اخرى لان اللذات الباطنة اغلب على ذوي الكمال العقلي من جميع اللذات الظاهرة المدركة بالحواس " .([[16]](#footnote-16))**

**وعلى الرغم من ان الغزالي لم ينكر جمال المحسوسات وحصول اللذة بادراك حسنها .. الا انه يرى ان الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة بل ان هناك جمال موجوداً في غير المحسوسات كالخلق الحسن والعلم الحسن والسيرة الحسنة .([[17]](#footnote-17))**

**وجمال هذه الصفات لا يمكن ان يرفقها قبح في حين انم الغزالي يرى " انه ما من شيء من المدركات الا ومنقسم الى حسن وقبيح .. بحضور الكمال فيه ، فاذا كان جميع كمالات الشيء حاضرة فيه فهو في غاية الجمال ، واذا كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر ، فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو ، فحسن كل شيء بحضور جماله اللائق به " .([[18]](#footnote-18))**

**فميل الانسان الى الجميل يعتمد على " ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه .. فكل ما في ادراكه لذه وراحة فهو محبوب وكل ما في ادراكه الم فهو مبغوض " .([[19]](#footnote-19)) اذن فجمال المدركات نسبي يعتمد على اذواق المدركين وحبهم لكتمال الصفات الشكلية ، ولهذا يرى الغزالي انه " كلما كان المعلومة اشرف واكثر جمالاً كان العلم به اشرف واجمل .. فاجمل المعلومات هو الله تعالى .. ذلك ان لذة القلب اتم وابلغ وميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى " .([[20]](#footnote-20))**

**والغزالي بعد ذلك لا يرى السعادة الحقيقية في اللذات الحسية حتى ما كان منها في الخيال .. فالذة الحقيقية عنده في وصول المرء الى كماله الخاص به بادراك الامور على ما هيه عليه أي اطراك الحقائق الالهيه .([[21]](#footnote-21)) بالكشف الصوفي ، فكل الجمالات المحسوسة والمعقوله مصدرها الجمال الالهي الطلق واثر من اثاره .**

**من ذلك نستنتج ان الحياة الروحية في الفلسفة الجمالية الاسلامية هي وحدها القادرة على كشف اسرار الكون ورؤية الجميل المطلق .**

**فنظرية الفارابي ( 259 - 339 هـ ) الجمالية اعتمدت على نظريته الصوفية في التامل العقلي والاعمال الفكرية وبالذات المعرفة الميتافيزيقية والتي هي اسم الغايات التي ينشدها الانسان ولا تبلغها الا النفوس الطاهرة المقدسه التي تستطيع ان تخترق الحجب لتتجاوز الواقع الى العالم الحقيقي والبهجه الدائمة .([[22]](#footnote-22))**

**لذلك فالفارابي يشيد مفهوم الجميل بالجمال الذي يستحسنه العقلاء كون العقل اساس القيمه الاخلاقية والجمالية .([[23]](#footnote-23))**

**فالعقل له اهمية في تكوين صورة عقلية كلية للاشياء " والكليات هي التجارب على الحقيقة " .([[24]](#footnote-24)) وذلك ضمن عملية الارتقاء المعرفي بدأ بالادراك الحسي الى الادراك العقلي الى العقل الاول المرتبط بالله " لذلك يرى الفارابي ان الفن متفوق على الطبيعة ، ذلك ان الفنان يرتبط بالعالم الحسي بحواس ترتبط بالجوانب الصوفية فيرتقي بالجزئيات الى الكليات ويقول : المحاكات تركب في الاشياء شانها ان تخيل في الامر الذي فيه المخاطبة او التصور ، حالاً ما او شيئاً افضل او احسن وذلك اما جمالاً او قبحاً او جلالاً او هواناً " .([[25]](#footnote-25))**

**والقوة المتخيلة عند الفارابي مركزها القلب ومهمتها حفظ المحسوسات بعد مفارقتها عالم الحس .([[26]](#footnote-26)) والقوة الناطقة تجرد التصورات لتستخلص منها الافكار ، والفكر يقدم للارادة المشوقات فتميل للخير وتنفر الشر ، اما بواسطة الحس او التخيل .([[27]](#footnote-27)) فالقوة المتخيلة تزود الفنان بالخيال اللازم في التعبير عن انواع الفنون الجميلة ، والذي له دور كبير في عملية الابداع الفني وادراك الجميل .([[28]](#footnote-28))**

**وبما ان الوجود الاكمل هو الله والذي تفيض عنه الموجودات الاقل كمالاً ، وهو الوحدة التي تفيض منه الكثرة ، فالله اذن موجد العالم ومبدعه ، فبوجود الله وجدت سائر الموجودات .([[29]](#footnote-29))**

1. - انظر : سالم ، نظمي ، محمد عزيز : المصدر السابق نفسه ، ص22 . [↑](#footnote-ref-1)
2. - انظر : رسل ، برتراند : المصدر السابق نفسه ، ص231 . [↑](#footnote-ref-2)
3. - انظر : ابن عربي ، محي الدين : الفتوحات المكية ، تحقيق وتقديم : عثمان يحيى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج1 ، 1972 ، ص94 . [↑](#footnote-ref-3)
4. - انظر : مطر ، حلمي ، أميرة : المصدر السابق نفسه ، ص82 . [↑](#footnote-ref-4)
5. - انظر : الجمالية المفاهيم والافاق والخصائص الاساس التاريخ ومراحل التطور ، ترجمة : ثامر مهدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 2000 ، ص56 . [↑](#footnote-ref-5)
6. - انظر : بدوي ، عبدالرحمن : فلوطين عند العرب ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ط3 ، 1977 ، ص115 – 116 .

\* - نرسيس اراد الامساك بصورته الجميلة البارزة على صفحة الماء واختفى عندما خطس في قاع المجرى . [↑](#footnote-ref-6)
7. - انظر : ديرميه ، ميشال : المصدر السابق نفسه ، ص132 – 137 . [↑](#footnote-ref-7)
8. - انظر : اسماعيل ، عزالدين : المصدر السابق نفسه ، ص39 – 42 . [↑](#footnote-ref-8)
9. - انظر : ديرميه ، ميشال : المصدر السابق نفسه ، ص135 . [↑](#footnote-ref-9)
10. - انظر : عباس ، عبدالمنعم ، راويا : المصدر السابق نفسه ، ص68 . [↑](#footnote-ref-10)
11. - انظر : ابراهيم ، عبدالله : المصدر السابق نفسه ، ص287 . [↑](#footnote-ref-11)
12. - انظر : مطر ، حلمي ، أميرة : المصدر السابق نفسه ، ص89 . [↑](#footnote-ref-12)
13. - دبوزورث ، شافت : تراث الاسلام ، ترجمة : محمد زهير السمهوري واخرين ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ج1 ، ط2 ، 1988 ، ص428 . [↑](#footnote-ref-13)
14. - انظر : الغزالي ، ابو حامد : احياء علوم الدين ، القاهرة : دار الشعب ، د ت ، ص 297 . [↑](#footnote-ref-14)
15. - انظر : كامل ، فؤاد : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، بغداد : اوفيست الميناء ، 1983 ، ص287 . [↑](#footnote-ref-15)
16. - غالب ، مصطفى : فلاسفة من الشرق والغرب ، بيروت : منشورات حمد ، ط1 ، 1968 ، ص151 . [↑](#footnote-ref-16)
17. - انظر : الغزالي ، ابو حامد : مشكاة الانوار ، تحقيق : ابو علاء عفيفي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1964 ، ص45 . [↑](#footnote-ref-17)
18. - اسماعيل ، عزالدين : المصدر السابق نفسه ، ص137 . [↑](#footnote-ref-18)
19. - المصدر السابق نفسه ، ص135 . [↑](#footnote-ref-19)
20. - انظر : الغزالي ، ابو محمد بن محمد ، احياء علوم الدين ، مصر : شركة مكتبة ومطبعة المصطفى الحلبي واولاده ، ج4 ، 1939 ، ص203 – 295 . [↑](#footnote-ref-20)
21. - انظر : التكريت ، ناجي : الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ، ط1 ، 1988 ، ص459 . [↑](#footnote-ref-21)
22. - انظر : الطويل ، توفيق : في تراثنا العربي الاسلامي ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، 1985 ، ص173 . [↑](#footnote-ref-22)
23. - انظر : ابو ريان ، محمد علي : المصدر السابق نفسه ، ص19 . [↑](#footnote-ref-23)
24. - الفارابي ، ابو نصر : كتاب الجمع بين رئي الحكمين ، قدمه وحققه : البير نصري نادر ، بيروت : المطبعة الكاثولوكية ، 1960 ، ص96 . [↑](#footnote-ref-24)
25. - محمد جمال ، عبدالعزيز : نظرية لشو عند الفلاسفه المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 ، ص78 . [↑](#footnote-ref-25)
26. - الفارابي ، ابو نصر محمد : كتاب السياسة المدنية ، تحقيق : متري النجار ، بيروت ، ط1 ، 1964 ، ص [↑](#footnote-ref-26)
27. - انظر : غالب ، مصطفى : المصدر السابق نفسه ، ص170 . [↑](#footnote-ref-27)
28. - انظر : الفارابي ، ابو نصر محمد : فصوص الحكم ، تحقيق : محمد حسن ال ياسين ، بغداد ، ط1 ، 1976 ، ص85 . [↑](#footnote-ref-28)
29. - انظر : ال ياسين ، جعفر : فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي ، بغداد : دار الاندلس للطباعة والنشر ، 1980 ، ص182 .

\*- يرتب الفارابي فيض الموجودات كالاتي : 1 – الله سبحانه وتعالى . 2 – العقل المحض . 3 – العقل الفعال . 4 – النفس ( العقل بالقوة ) . 5 – الصورة . 6 – المادة . [↑](#footnote-ref-29)